مسألة اللغة العربية في الوطن العربي
بين الواقع والتحديات التي تواجهها في ظل العولمة

The issue of the Arabic language in the Arab world
between reality and the challenges
it faces in light of globalization

طـايبي رتـيبة : أستـاذة محـاضرة أ
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة لونيسي علي البليدة 2

تـاريخ إرسال المقال: 2018/09/02 **تـاريخ قبول المقال:** 2018/11/22

ملخص

تعتبر اللغة مادة اجتماعية أي أنها تنمو وتتخلف وفقا للتعامل الإيجابي أو السلبي الذي تلقاه من مجتمعها ، فهي كائن اجتماعي بالطبع؛ فعند الوقوف على واقع اللغة العربية الفصحى في الوطن العربي يتجلى لنا تدهور حالها وسطوة العاميات المتعددة على مجرى الحياة في مجتمعاتنا العربية المعاصرة، ولاسيما في الجامعات العربية، والعزوف العام عن استعمالها بين المتعلمين في العالم العربي اليوم، بل تكمن المعضلة في التحديات التي تواجه اللغة العربية ضمن منظور القواعد الجديدة التي تفرضها اللغة الإنجليزية على كل لغات العالم في ظل العولمة، وذلك من خلال تحكمها في معظم التكنولوجيات المتطورة بجدارة أكثر من اللغات الأخرى بما فيها اللغة العربية. كما أن هنالك حملة واسعة تقودها العولمة الثقافية تستهدف النيل من كل الثقافات الإنسانية ذات الجذور الحضارية المتأصلة وفي مقدمتها الثقافة العربية؛ وذلك باستخدامها سلاح اللغة لتغزو وتخترق أسوار قلعة الهوية الثقافية، وهو ما يقتضي تفعيل الأمن اللغوي للحفاظ على مكانة اللغة العربية وحمايتها في ظل عالم متغير وما يطرحه من تحديات.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الوطن العربي، التحديات، العولمة، التخطيط اللغوي.

المؤلف المرسل: طايبي رتيبة، icosiumsocio@hotmail.fr

Abstract

Language is a social subject which grows, flourishes, and declines due to the positive or negative attitude from its society. The reality of the Standard Arabic Language is obviously declining due to the dominance of various dialects in the course of life in our modern Arab societies, especially in the Arab Universities. The dilemma now lies in the challenges facing the Arabic Language in the context of new of rules imposed by the English Language on all the languages due to its globalization, through its control of the most advanced technology in comparison to other languages including Arabic. In addition, there is a wide campaign led by the cultural globalization aiming at undermining all deep-rooted human civilizations, especially the Arabic civilization, using language as weapons to conquer and penetrate the solid walls of the cultural identity. Therefore, the activation of linguistic security is essential to protect and preserve the position of the Arabic language.

Keywords: Arabic Language, Arab World, Challenges, Globalization, Linguistic Planning.

مقدمة

اللغة مهمة بالنسبة للإنسان والمجتمع، بحيث لا نستطيع أن نتصور مجتمعا بشريا دون لغة يعبر ويتفاهم بها مع غيره من أفراد المجتمع الواحد، وبينه وبين المجتمعات الأخرى؛ لهذا تم تناول اللغة بالدراسة والبحث منذ القديم ليس من طرف اللغويين فحسب، بل لقد اهتم بدراستها أيضا المفكرون والفلاسفة والأدباء ورجال الدين والساسة والعلماء في جميع ميادين العلم والمعرفة بعدّها أهم وسيلة للتعبير والتبليغ والتفاهم[1]، فهي بمثابة الدم داخل الجسم الحي ذات وظيفة اجتماعية وثيقة الصلة بالمجتمع وتطوره[2]، لهذا ظلت اللغة العربية منذ فجر الإسلام رحما مشتركا بين أهلها يعبر بواسطتها المسلم والعربي في أي بقعة من العالم عما يريده، وذلك لارتباط هذه اللغة بالدين الإسلامي حيث أصبحت به لغة عالمية تنتشر حيثما وجد دين الإسلام، وهي أيضا أداة للتلاحم القومي بين الناطقين بها؛ إذ بواسطتها يتواصل العرب من المحيط إلى الخليج ويفهم بعضهم بعضا على الرغم من تباين لهجاتهم وتعددها[3].

أوضح الدكتور "زهير غازي زاهد": "إن اللغة العربية صلحت في العصور الماضية لاستيعاب التغيير والتجديد فيها، ففي العصر الإسلامي استوعبت التغييرات الجديدة في المجتمع والفكر والعقيدة، ثم امتدت إلى أمم أخرى تقبلتها وتعلمتها راضية، وفي

العصر الأموي صلحت لتعريب الدواوين وتنظيم الإدارة وقضايا المجتمع عامة، وقد أفادت من تجارب الأمم الأخرى الرومية والفارسية والهندية، وفي العصر العباسي نجد العربية تتسع لكل المستجدات من العلوم والفلسفة والأدب وظهور المصطلحات المعربة أو العربية عن طريق الاشتقاق أو القياس أو التعريب أو النحت أو الاقتراض بعد ترويضها وجعلها منسجمة مع نظام العربية، وظهرت كذلك الأساليب الجديدة في الاستعمال على ألسن الشعراء وأقلام الكتاب والخطباء". ويتضح من ذلك أن اللغة العربية ليست قاصرة في استيعاب التغيير والتجديد عبر العصور[4].

من هذا المنطلق يتضح أن استقلال اللغة يعني وجود الأمة واتحاد رأيها وهو ثقافتها واتجاهها، وهذا يعني أن الأمة جديرة بالحياة لأنها تملك الخصائص الذاتية التي تقيها من التبعية المدنية والعبودية الأدبية؛ ومن هذا المعنى كان الاحتلال اللغوي أخطر على الأمة من الاحتلال الأرضي ذلك لأن الاحتلال اللغوي يعني في مدلوله العميق احتلال الفكر والوجدان والثقافة، ولذا نرى الحملات الاستعمارية والتبشيرية والاستشراقية لا تنفك تتوالى على اللغة العربية بلا هوادة، كون لغتنا العربية هي لغة قرآننا وشريعتنا وتراثنا والصورة الصادقة لوجود أمتنا وجودا ذاتيا متميزا. ومنه فإن الاستعمار الفكري يحاول أن يتسرب عن طريق الاستعمار اللغوي والفصحى هي هدفه في كل حملاته ومحاولاته، ففي هذا الإطار يقول "جوستاف لوبون" (Gustave Le Bon): "إذا استعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها"؛ ومن هنا كانت قاعدة التحدي فكروا بلغتكم"[5]. غير أنه قد أضحت اللغة العربية عالة اقتصاديا على اللغات التي لا ماضي لها ولا تاريخ وهي لغات حديثة وهجينة تكونت في عصر السرعة، ونالت المكانة العلمية التي أهلتها لذلك بفضل الفكر العلمي والرياضي الذي سيطر على نخبها ومفكريها وبالتطبيقات التقنية التي مست منظومتها الفكرية، ولنعلم أن الصناعة الأمريكية ارتكزت على دعائم الفكر العلمي والثقافي العصري حتى كانت لها الريادة، والنهضة الأوربية قامت على أساس ثقافي أولا ثم لحقت عوامل أخرى، كما أن التطور الأسيوي اعتمد مبدأ الأخذ (النقل) من العلوم والخروج بنظرية خاصة، وكان في كل اجتهاد للعصرنة دعوة إلى الإصلاح التربوي الذي يرتبط بالإصلاح اللغوي الذي تنشده المعرفة العلمية في وقتنا الحالي. وها هو "كونفوشيوس" (Confucius) حكيم الصين العظيم يستشيره الإمبراطور حول السبيل الأقوم إلى إصلاح الإمبراطورية فيقول له: "ابدأ باللغة...." ولم يقل له في ذلك ابدأ بالاقتصاد[6]. والبدء باللغة يعني التمسك بها أصالة وتحديثا حيث الأصالة لا تعني الانغلاق والانقطاع عن العالم بل تعني المعرفة العلمية التي هي إدراك الأشياء وتصورها كما ونوعا، وحيث التحديث الذي هو خوض معركة العصر بكل تجلياتها المعرفية فكرا وإنتاجا.

وإذا ما تساءلنا عن واقع اللغة العربية في الوطن العربي؟ وماذا تقدم في عصر الثورة التكنولوجية والمعلوماتية التي يشهدها عصر العولمة؟ وهل يمكن أن تكون لغة علمية ذات بعد عالمي تتعدى حدودها ومحيطها وتنافس اللغات الحية؟. يمكن القول: إن اللغة العربية تواجه اليوم في عصر العولمة تحديات عدة يأتي في مقدمتها غزو اللغات الأجنبية الأوروبية، وعلى رأسها اللغة الإنجليزية إلى ديار الوطن العربي ومحاولة طمس لغته وإضعافها، وتنفير أهلها منها وإبعادها عن أغلب مجالات الحياة والدعوة إلى تعميم ما ظهر أخيرا بما يعرف بالعولمة التي تريد ابتلاع كل شيء أمامها والقضاء على جميع ثقافات الأمم[7]. من أجل هذا يتحتم على العرب في القرن الحادي والعشرين توطيد علاقتهم باللغة العربية وهو السبيل الطبيعي لكي تصبح لغة الضاد لغة العصر والحداثة، وهذا طريق واضح المعالم لا لبس فيه بالنسبة لحتمية تقدمها؛ ويتمثل بكل بساطة هذا الطريق الطبيعي في الاستعمال اليومي الكامل والمتواصل للغة العربية في حياة المجتمعات العربية وعدم إقصائها من الاستعمال في أي من قطاعاتها وأنشطتها، إذ أن اللغة هي كائن اجتماعي بالطبع أي أن تقدمها وتأخرها يرتبطان في المقام الأول بمدى استعمالها في المجتمع، وبناء على المنظور السوسيولوجي للعلاقة العضوية التي يجب أن توجد بين المجتمع ولغته، وبتحليل وضع اللغة العربية في الوطن العربي خلال الألفية وفي ظل عصر العولمة، يجوز القول بأنه وضع يسوده الاغتراب وفقدان العلاقة العضوية بين أغلبية المجتمعات العربية ولغتهم الوطنية[8].

تأسيسا على ما تقدم، تتبلور الإشكالية المتناولة بالبحث في مجموعة التساؤلات الموضحة كالآتي:

- كيف تم تناول دراسة الإشكالية اللغوية من المنظور السوسيولوجي؟
- ما هو واقع اللغة العربية الفصحى في المجتمعات العربية المعاصرة؟
- ما هي التحديات الراهنة التي تواجه اللغة العربية في ظل العولمة؟
- هل للتخطيط اللغوي دور فاعل في النهوض باللغة العربية وإيجاد حل لمشكلاتها؟
- كيف يمكن عمليا الارتقاء باللغة العربية وحمايتها من المخاطر التي تهدد أمنها في ضوء التحديات التي تفرضها العولمة؟

1/ -الإطار المفاهيمي للغة

هناك تعريفات كثيرة للغة عرفتها الدوائر العلمية المختلفة في شتى الحضارات قديما وحديثا[9]، وهي تعاريف تذكر الجوانب المميزة للغة من حيث طبيعتها ووظيفتها

الاجتماعية وتبين أن لكل قوم لغتهم التي يتميزون بها. هذا ويعرف "ابن خلدون" اللغة "بأنها ملكة في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"[10].

بينما يعرف "فرديناند دي سوسير" (Ferdinand de Saussure) اللغة: "بأنها نظام من الدلائل يعبر عما للإنسان من أفكار"[11]، وتعرف اللغة بحسب معجم "لاروس" (La Rousse) الفرنسي: " إنها عبارة عن نظام مدلولات شفهية خاصة بكل مجموعة من الأشخاص تستعملها للتعبير أو الاتصال بعضها مع بعض"[12]. وبما أن اللغة خاصة بكل مجموعة على حدة، وبما أن لكل مجموعة خصوصياتها فإن هذا النظام لا يمكن أن يكون مجرد وسيلة اتصال محايدة، بل إنه يصدق عليه تعليق "كريستين فريشات" (Christine Fréchette) القائلة: "إن اللغة حاملة لهوية، قيم، تاريخ ومعنى، إنها تحقق التلاحم الاجتماعي وتدعم تنامي الإحساس بروح الانتماء إلى المجموعة"[13].

وقد عرفها "الجرجاني" في كتابه "التعريفات": "إنها ما يعبر به كل قوم عن أغراضهم"[14]. واللغة وسيلة للتفاهم بين البشر وهي من أجلّ نعم اللّه تعالى على عباده، ولولا اللغة لما تحققت مهمة الرسائل السماوية ولا قامت الحضارات البشرية، واللغات تمثل فكر الأمم وحضارة الشعوب[15]. لعل القاسم المشترك بين أغلب المهتمين بالدراسات اللغوية الحديثة يتمثل بتعريف اللغة بكونها نظاما من العلامات الصوتية والمكتوبة والإشارية، وظيفته إتاحة التواصل بين أفراد جماعة لغوية معينة بواسطة تركيبات تضبطها قواعد نحوية وصرفية خاصة وتتضمن معاني مدونة اجتماعيا ومتداولة بين أعضاء الجماعة[16].

2/ -الإشكالية اللغوية من المنظور السوسيولوجي

حرص البحث العلمي الحديث على أن يتعرف على المسالك العامة التي سارت فيها حياة اللغة منذ كانت وظيفة اجتماعية يمارسها الإنسان ليؤكد بها ذاته وليستشعر عن طريقها وجوده، متفاعلا مع غيره ممن يشاركه هذه الوظيفة. وتقدير اللغويين لهذه الوظيفة الاجتماعية يكمن في أن اللغة في مجالها الاجتماعي تخدم ثلاثة أغراض فهي وسيلة للتعبير والتواصل ومساعد آلي للتفكير، ثم هي وسيلة لتسجيل هذا الفكر كي يعود إليه الإنسان لحظة بعد أخرى لدراسته والإفادة من تجربة ماضية وتاريخا سالفا[17].

لقد بين "أنتوان مييه" (Antoine Meillet) في العديد من النصوص الطابع الاجتماعي للغة أو بالأحرى قد حددها بوصفها ظاهرة اجتماعية. وهكذا اقترح في مقاله الموسوم "كيف تتغير معاني الكلمات؟": أن اللغة هي ظاهرة اجتماعية بامتياز

ذلك أنها واردة في التحديد الذي اقترحه "إميل دوركايم" (Emile Durkheim) والذي جاء فيه: "إن اللغة توجد مستقلة عن كل فرد من الأفراد الذين يتكلمونها، وعلى الرغم من أنها لا تقوم بمعزل عن مجموع هؤلاء الأفراد فإنها مع ذلك خارجة عنه (أي الفرد) من خلال عموميتها"؛ إن صفتي الخارجية عن الفرد والإكراه اللتين يحدد "دوركايم" بهما الظاهرة الاجتماعية تظهران إذن في اللغة بداهة[18]، وفي دراسة العلاقة بين المجتمع واللغة وبين الاستعمالات المتنوعة للغة والبنى الاجتماعية التي يعيش فيها مستعملو هذه اللغة يرى المختصين في علم الاجتماع اللغوي أن المجتمع يتكون من عدة أنماط وسلوكيات متداخلة فيما بينها ومنها ما هو لغوي، ويتمثل أحد أبرز هذه الاستعمالات اللغوية المتنوعة في تبليغ المعنى وتوطيد العلاقات الاجتماعية والمحافظة عليها[19].

وعليه فإن اللغة عند علماء الاجتماع هي ظاهرة اجتماعية في الصميم ذلك أن اللغة لا يمكن أن توجد وتستمر في الحياة دون وجود فردين على الأقل يتكلمان تلك اللغة، ومن ناحية ثانية يتعذر وجود حقيقي ذو معنى لمجموعات بشرية صغيرة أو كبيرة دون رباط لغوي ييسر التواصل والتفاعل الاجتماعي والتضامن المتماسك بين أفرادها وفئاتها المختلفة[20]، فاللغة المشتركة بين الأفراد والمجموعات والفئات هي الأساس القوي للتبلور الفعلي للتقارب والشعور الجماعي والوحدة بينهم، ويصدق هذا كثيرا على حال مجتمعات الوطن العربي منذ أن أصبحت اللغة العربية، بعد الفتوحات الإسلامية، قاسما مشتركا بارزا لسكان منطقة ما بين الخليج والمحيط، فالتضامن القوي منذ أكثر من أربعة عشر قرنا بين شعوب العالم العربي لعبت وتلعب فيه لغة الضاد دورا مركزيا[21].

لا جدال بأن اللغة في ظروف تاريخية واجتماعية خاصة تقوم فعلا بدور الممثل البارز والمرجعية الأساسية للهوية الاجتماعية والوطنية، ويمكن الوقوف على ذلك عن كثب في كل مرة تشعر فيها جماعة بشرية ما بأنها مهددة في كيانها وفي تاريخها الحديث والمعاصر، وعلى مستوى آخر فاللغة مادة اجتماعية بمعنى أنها تخطو وتنمو وتتخلف وتندثر وفقا للتعامل الإيجابي أو السلبي الذي تلقاه من مجتمعها، فمن جهة تصبح اللغة كائنا حيا نابضا بالحركية والفتوة والتطور إذا ما شرفها أهلها بالاستعمال الكامل لها في كل قطاعات المجتمع، ومن جهة ثانية تفقد اللغة حياتها العادية وتتقلص حركتها فتتخلف ويزداد الشعور بغربتها بين أهلها إذا همش استعمالها في مجتمعها[22].

ومما لا شك فيه أن تصورنا السوسيولوجي للغة ينطبق على تجربة اللغة العربية في الماضي والحاضر أي أن مسيرة هذه اللغة إيجابا وسلبا تأثرت وتتأثر بنوعية محيطها

الاجتماعي، ففي مرحلة ماضية كانت لغة الضاد هي لغة الاستعمال في كل القطاعات في المجتمعات العربية الإسلامية في عصر أوج نهضة الحضارة العربية الإسلامية، وبحكم الطبيعة الاجتماعية للغة فقد تقدمت حتما اللغة العربية وثقافتها في الماضي بحيث أصبحتا ذاتي اهتمام عالمي في الشرق والغرب خاصة في المجالات المعرفية والعلمية[23]، وفي المرحلة المعاصرة نشاهد أيضا تأثر اللغة العربية، كمادة اجتماعية، بمحيطها الاجتماعي في تطورها وتراجعها، فلا يخفى في العصر الحديث أن قدرة اللغة العربية على الاستعمال في العلوم والمعارف المعاصرة قد وقع اكتسابها من مبادرة وقرار إعطاء لغة الضاد الفرصة لذلك في بعض المجتمعات العربية، وحرمانها من تلك الفرصة الاجتماعية في مجتمعات عربية أخرى[24].

إن تقدم اللغة العربية في ميادين العلوم والمعارف الحديثة والتكنولوجيا وتقنيات الحواسيب والإنترنت هي أمور ممكنة للغاية إذا نظرت مجتمعات الوطن العربي إلى لغتها العربية ككائن اجتماعي بالطبع تنمو قدراته وتتطور وتتقدم وتبلغ أوج نضجها، وهذا انطلاقا من استعمالها الكامل والشامل في كل أوجه حياة تلك المجتمعات بما فيها ميادين العلم والمعرفة والتقنية والمعلوماتية الحديثة، وبعبارة أخرى تأخر اللغة العربية في تلك الميادين لا يعود إلى طبيعة اللغة العربية نفسها وإنما يرجع الأمر بكل وضوح إلى إقصاء لغة الضاد كثيرا أو قليلا من القيام بدورها الكامل كلغة وطنية في تسيير كافة شؤون المجتمعات العربية المعاصرة[25]. وإذا رجعنا إلى العلم نجد أن القاعدة التي يعتمدها الباحثون اللغويون وعلماء الاجتماع اللغوي هي أن قوة اللغة تستمدها من قوة الأمة الناطقة بها أو من مجموعة الشعوب التي تنتمي إليها، ويكون ضعف اللغة في المقابل مرده إلى ضعف أهلها ولقد لخص "ابن خلدون" هذه القاعدة في قوله: "إن غلبة اللغة بغلبة أهلها وإن منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم"[26].

3/ -واقع اللغة العربية الفصحى في الجامعات العربية

اتخذت محاولات الطعن بالهوية العربية أشكالا ومظاهر شتى وجرى التركيز على المكون اللغوي حيث اعتبر دعاة العامية في مشرق الوطن العربي اللغة العربية عائقا من عوائق التطور والإبداع، وتنبئوا بموتها مثل اللاتينية ووصفوها بالعقم والعجز عن مواكبة الركب الحضاري والتحجر في التراكيب والكلمات، ودعوا إلى دفنها والتفكير في استبدالها واستبدال حروفها وصرحوا بأن مصيرها لن يكون أفضل من اللاتينية. من هنا بدأت الدعوة إلى فسح المجال أمام الطالب العربي ليستعمل العامية بدلا من الفصحى. وكان المهندس الإنجليزي "وليام ويلكوكس" (William

(Willcocks، أحد المنظرين لهذه الدعوة، يرى أن الفصحى تعد من أسباب تخلف الأمة وعائق من عوائق التقدم، إذ ألقى في عام 1893 محاضرة في نادي الأزبكية ذكر فيها: "إن أهم عائق يمنع المصريين من الاختراع هو أنهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية الفصحى، وأنهم لو ألفوا وكتبوا بالعامية لأعان ذلك على إيجاد ملكة الابتكار وتنميتها". وكان يرى أن "اللغة العربية لغة مصطنعة يتعلمها أصحابها باعتبارها لغة ثانية ثقيلة في كل شيء إن وصلت إلى الرأس فهي لا تصل أبدا إلى القلب.....قضت على الطلبة النابهين من المصريين الذين كان يرجى منهم نفع كبير.....دراستها مضيعة للوقت وموتها محقق كما ماتت اللاتينية"[27].

إننا أمة لا ننفك نعمل على ضياع هويتنا اللغوية وليس من اليسير إقناع أفراد المجتمع بأن التاريخ أطوارا وللقضايا اللغوية محطات وهي اليوم غير ما كانت عليه في الأمس، وقد لا يخفي هؤلاء جميعا استغرابهم الأقصى إذا كاشفناهم بحقيقة جديدة تخلفت في رحم الأحداث الكونية غير المسبوقة، وهي أن اللغات الأجنبية لم تعد هي العدو الأول للغة العربية وإنما الذي حل محله في هذا العداء الشرس النافذ الذي بمستطاعه أن يجهز على العربية فيذهب بريحها هو اللهجات العامية حين تكتسح المجال الحيوي للفصحى. إننا ما فتئنا نفسح الأبواب للعاميات كي تغزو الحقول التي تحيا بفضلها العربية، غزت العاميات منابرنا الإعلامية السمعية والبصرية وسكتنا[28]، حيث تساهم بعض القنوات الفضائية العربية والقنوات المحلية في هدم اللغة العربية الفصحى من خلال بثها لبرامج تعتمد على اللغة العامية[29]، غزت العاميات حواراتنا الثقافية وسكتنا، غزت العاميات مجالسنا الفكرية ثم تسللت إلى فصول التدريس ومدارج الجامعات، وها نحن نصمت متبرمين أو منخذلين. ومنذ زمن ليس بالقليل طفق الأديب المصري "طه حسين" يصيح بقلمه محذرا من آفة انتشار العامية في صفوف التعليم[30].

هذا وبالرجوع إلى واقع اللغة العربية الفصحى على مستوى المؤسسات الجامعية بالوطن العربي يتجلى لنا انتشار ظاهرة الأمية الجديدة بين الطلبة العرب وأساتذتهم، والتي تعني أن المسمى "بالأمي العربي الجديد" هو ذلك المتعلم ذو المستوى العالي (كالطالب والأستاذ الجامعي) من التعليم والثقافة ومع ذلك فهو غير قادر على القراءة ولا على الكتابة ولا على الحديث بطريقة سليمة باللغة العربية الفصحى، التي كان له معها احتكاك منذ المرحلة الابتدائية التعليمية حتى المستوى العالي الجامعي؛ ولابد من التذكير هنا بدلالة مفهوم الأمية التقليدية (القديمة) التي تعني عدم القدرة على القراءة والكتابة، وعليه سنقتصر هنا على إلقاء الضوء على المستوى اللغوي لدى

هيئات التدريس بجامعتي قسنطينة والملك سعود كمثالين، حيث سجلنا في العقدين الأخيرين من القرن الماضي عدد من الملاحظات التي تعد كمؤشرات ميدانية ذات دلالة واضحة على وجود ظاهرة الأمية الجديدة بين أساتذة ومدرسي هاتين الجامعتين.

ومنه فقد تبين لنا أن هناك عددا قليلا من أعضاء هيئة التدريس (بما في ذلك من يدرس اللغة العربية نفسها) الذين يبدو أنهم لا يزالون يحاولون التدريس بالفصحى، فوسيلة التدريس الشائعة في قاعات التدريس بهاتين الجامعتين العربيتين –قسنطينة والملك سعود- هي العامية المتنوعة من المشرق والمغرب العربيين. فجامعات الجزائر وجامعات دول الخليج كانت ولا تزال أكثر الجامعات العربية عرضة لموجة اللهجات العربية الكاسحة لقاعات التدريس، وذلك لشدة حاجة هذه الجامعات لاستجلاب هيئات التدريس من مجتمعات عربية مختلفة كمصر والسودان والأردن والعراق وسوريا وتونس والمغرب، فاستعمال العاميات في التدريس أصبح سمة لغوية من سمات هذه المجتمعات، أما استعمال الفصحى فهو بعيد كل البعد على أن يكون صفة من صفات الجامعات نفسها. وفي جو تعدد وطغيان اللهجات العامية العربية هذه في قلب المؤسسة الجامعية هل يبقى من معنى للقائلين بأن للجامعة دورا مهما في تعريب و"تفصيح" لغة المجتمع العربي المعاصر؟، أليس أكثر دقة وواقعية القول: إن الجامعات العربية وخاصة الجزائرية والخليجية تساهم هي الأخرى في تعزيز مركز العاميات على حساب الفصحى بهذه المجتمعات العربية؟.

إن الأمية الجديدة عند أعضاء هيئات تدريس العربية بجامعتي قسنطينة والملك سعود وغيرها من معظم الجامعات العربية تنتشر ملامحها أيضا خارج قاعات التدريس، فمن النادر مثلا أن يتقيد عضو هيئة التدريس في حديثه باللسان العربي الفصيح سواء كان في ندوة علمية أو في اجتماع قسم أو في مجلس مناقشة رسالة أو أطروحة جامعية، وهو إذا لجأ إلى قراءة كلمته أو محاضرته بالفصحى المكتوبة غير المشكولة فيندر أن لا يلحن حتى إذا لاذ إلى حيلة الوقوف على السكون تكرارا ومرارا ليسلم لسانه ظاهريا؛ فالأمر هنا يبين أن ظاهرة الأمية الجديدة بالتعريف الوارد سابقا شائعة فعلا بين أعضاء هيئات التدريس بالجامعات العربية، إلا أنه قد يحجم عضو هيئة التدريس على استعمال الفصحى رغم إلمامه بها نظرا لكون المعايير اللغوية الاجتماعية لا تسمح له بذلك، فهو قد يوسم بالانحراف إن استعمل الفصحى وذلك حتى داخل قاعات التدريس الجامعية. ولاختبار مدى إلمام الطلبة والطالبات باللغة العربية الفصحى تم لجوء الباحثين في الموضوع إلى اقتراح على الطلبة التحدث بالفصحى أثناء المناقشة والتدريس للمواد والمناهج الدراسية وكان اقتراحهم يقابل

غالبا بالتهكم والامتعاض من الجميع، وبدا لهم بذلك أن سلوكهم كان يمكن أن يكون أفضل وأقل سخرية لو أنهم طلبوا من الطلبة التحدث بالإنجليزية أو الفرنسية في صورة معرفتهم لإحدى اللغتين أو كليهما[31].

ونأخذ هنا كمثال وضع المستوى اللغوي الفصيح عند الطلبة بالمجتمع السعودي، ففيما يخص ضعف الطلبة السعوديين في الإلمام بالفصحى، كتابة وقراءة وحديثا، فالأمر يبدو أنه متفق عليه من لدن كل من كان له احتكاك بهم وكانت له معرفة بالفصحى تسمح له بقياس مقدرة الطالب والطالبة في لغة الضاد. وفي هذا السياق فقد كان طرح مجلة اليمامة السعودية لقضية تدهور مستوى الفصحى وما تبعه في نفس أعداد المجلة اللاحقة برهانا دامغا. فالدكتور "محمود كامل الناقة" الذي قام بأبحاث لغوية في جامعة أم القرى بمكة أدلى لمجلة اليمامة بملاحظات كاشفة حول جهل الطلبة بلغة الضاد، فهو يرى أن مؤشرات ضعف الطلبة في الفصحى تتمثل في: "الضعف الواضح في مهارة الكلام والحديث أو ما نسميه مصطلحا التعبير الشفوي.....بل يصل الأمر في كثير من الأحيان إلى إحجامهم عن الحديث لعدم قدرتهم على ذلك، والضعف في مهارة القراءة فالشكوى صارخة في عدم قدرة طلابنا حتى في التعليم الجامعي على قراءة فقرة قراءة صحيحة وفهمها فهما واعيا.....أضف إلى ذلك الضعف في القراءة الجهرية حيث نجد اللعثمة والتردد والحشرجة والنبرة النائمة والصراخ المزعج.....وبعد أن كان الكتاب خير رفيق وجليس وأنيس أصبح في حياة طلبتنا شيئا مكروها غير مرغوب، فهل هناك ضعف أكثر من ذلك في اللغة العربية؟".

ومهما اختلفت أسباب تدهور مستوى الفصحى بالجامعات العربية فإن هذا الواقع اللغوي مؤشر ذو دلالة بالغة على أن الأمن اللغوي للمجتمعات العربية مهدد فعلا، فإذا كانت حالة الفصحى قد بلغت تلك الدرجة من التدني في المؤسسات الجامعية فما بال حالها بين سواد المتعلمين الأقل تعليما وثقافة؟[32]. أما الشاعر "طلال الغوار" فقد أشار في هذا المضمار إلى أساليب تعليم عقيمة فقال في ذلك: " إن المراقب للواقع اللغوي اليوم يجد ظاهرة مؤلمة لما يترتب عليها من مخاطر كثيرة ألا وهي ظاهرة الضعف اللغوي التي تطل علينا من خلال الفضائيات والعناوين البارزة في الصحف، وحتى في المناهج الدراسية والخطب والمحاضرات والإعلانات، ناهيك عن ندرة المتكلمين بها خلال المخاطبات والأحاديث اليومية وغلبة اللهجة العامية عليها بشكل كامل....إن هناك أكثر من سبب في نشوء ظاهرة الضعف اللغوي ولعل أبرزها هي أساليب التدريس السائدة وضعف عوامل الاعتزاز بها وطرق التأليف في قواعد اللغة، وعدم اعتبار إتقان اللغة العربية كشرط رئيسي للعاملين في حقل التعليم وخصوصا في

المراحل الابتدائية الأولى ....لكن العيب فيمن يدرس اللغة العربية في المراحل الابتدائية الأساسية حيث إن أساليب التعليم عقيمة وإن المعلمين لا يدرسون ولا يتكلمون باللغة العربية الفصيحة ولا يشعرون بالحرج إذا أخطأوا فيها...".

فيما قال الشاعر والأستاذ في جامعة القادسية "حسين القاصد": "إن اللغة وشروط سلامتها بقيت على سرير الإنعاش تنتظر من ينقذها....في ظل شيوع الأمية الثقافية وانشغال المثقف بشكل عام والمختص باللغة العربية وآدابها بشكل خاص بهموم لا تمت للغة بصلة، فضلا عن تعالي البعض على اللغة مثل قول بعض الأدباء إن إتقان اللغة ليس شرطا من شروط الإبداع....نريد لغة فصيحة وذلك أضعف الإبداع!، فلا أستاذ اللغة يتكلم اللغة، ولا مناقشات الدراسات العليا تتم بلغة سليمة، حتى أن بعض الأساتذة يطالب الطلاب بإتقان اللغة لكن مطالبته لهم تأتي باللهجة العامية"[33]. وبانتشار ظاهرة الأمية الجديدة بين المتعلمين العرب يصبح للظواهر الآتية منطق ذو ثقل وأخطار على مستقبل هذه الأمة:

- العزوف العام على القراءة بالفصحى بين المتعلمين بالعالم العربي اليوم؛

- ندرة الابتكارات بالوطن العربي ويرجع هذا حسب آخر البحوث اللغوية إلى العلاقة الوثيقة بين معرفة اللغة الوطنية (القومية) والمقدرة الذهنية المعرفية على الإبداع والابتكار؛

- إن تردي الفصحى وسطوة العاميات المتعددة على مجرى الحياة في مجتمعات الوطن العربي بما فيها الجامعات العربية قد يؤديان إلى ضعف رابطة الانتماء إلى الوطن العربي الكبير، فالفصحى لا تزال كما كانت في أولى الفتوحات الإسلامية أكبر عامل موحد بعد الإسلام لأمة العرب[34].

إن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو: هل يمكن أن يكتب العلم باللغة العامية؟ الذي يراه المنصفون من أهل العلم وترتاح إليه النفس النزيه المنصف هو أن ذلك غير ممكن، وللعلامة الانجليزي الشهير الأستاذ "هكسل" (Hexel) بحث في شأن "كتابة العلم بلغة عامة الإنجليز يخطئ فيه القائلين به المتحمسين له"، ومما جاء في بحثه هذا قوله: "إن من يحاول ذلك من العلماء لا يخسر ملكة الإنشاء فقط ولكنه يضعف مواهبه العلمية، وإن ترقية عقول العامة لفهم العلم أسهل وأفضل من إلباس العلم لباس لغة العامة فيخسر رونقه ولا ينجلي معناه لأن المعاني العلمية لا يعبر عنها إلا بلغة علمية"[35].

4/ -اللغة العربية وتحديات العولمة

إن ظاهرة العولمة تثير جدلا واسعا حيث تعددت بشأنها الآراء واختلف حولها الدارسون ولقد ارتبطت العولمة بالثورة العلمية والتكنولوجية، وبدا وكأنها ستقود العالم إلى الرخاء والقضاء على الفقر وتوفير الثقافة الحديثة ووسائل الاتصالات، حيث قادت الدول الصناعية حملة لإقناع الدول النامية بضرورة دخول دائرة العولمة وتغيير توجهاتها السياسية بما يتماشى مع مقتضيات العولمة، إلا أن هذا المفهوم ظل يتميز بقدر كبير من الغموض والتعقيد ذلك لأن الواقع سبق النظرية في تحديد معالم مفهوم العولمة حتى أصبح واقعا معاشا قبل أن يصاغ له نظريات، مما أدى بذلك إلى تصاعد الجدل والنقاش حوله[36].

لقد أصبحت العولمة جزءا لا يتجزأ من ثقافتنا وجزءا من حياتنا فإذا ما نظرت حولك ستجد أن المنتج العالمي أمامك أينما ذهبت، وستجد الثقافة الأمريكية والغربية في كل مكان فهناك ازدياد في استعمال اللغة الإنجليزية على حساب اللغة العربية في كل مكان، وهناك زيادة في مساحة البرامج التلفزيونية الأمريكية فقد كانت حكرا على القناة الثانية الأجنبية، أما الآن فقد أصبحت تأخذ حيزا واسعا من خلال القناة الأولى العربية، وكذلك نجد بعض البرامج الترفيهية تحمل أسماء أجنبية رغم أنها عربية المضمون. إن لكل أمة خصوصية ثقافية تعبر عن هويتها وإن كل هوية تختلف عن الأخرى بما يميزها والهوية الثقافية العربية ضاربة في العراقة والقدم وهي بذلك لها جذورها التي تستطيع أن تتحرك من خلالها. لقد تعرضت الهوية الثقافية للضياع والتشتت والتفتيت ولكن لها سمات مازالت باقية ثابتة ولكنها في الوقت نفسه هي بحاجة إلى حماية وترميم بما علق بها من تأثير عبر العقود الماضية، كون أن الهوية الثقافية للمجتمعات العربية تعمقها اللغة العربية الفصيحة التي تستعمل وتنتشر وتحافظ على طابعها الأصيل[37].

إن ظاهرة العولمة في منظورها الشمولي الكوني باتت تهدد المجتمعات العربية في مقوماتها الثقافية الأساسية خاصة في اللغة والأدب والفنون والتاريخ والعادات والتقاليد وحتى أنماط العيش والسلوك والأخلاق والوجدان[38]. نخلص من ذلك كله إلى ما يسميه بعض الباحثين الأبعاد اللغوية لظاهرة العولمة فسواء كانت العولمة وفاقا أم صراعا فاللغة –في كلتا الحالتين- شأن خطير، فإن كانت وفاقا فاللغة ذات شأن جليل في حوار الثقافات حيث من المتوقع أن يتخذ أنصار العولمة من علوم اللغة مرتكزا أساسا لعولمة الثقافة. أما إذا كانت العولمة صراعا فإن معنى ذلك سيادة لغة من لغات

الدول المهيمنة في العلاقات التجارية والاقتصادية وما يستتبع ذلك من سيادة ثقافتها وقيمها الخاصة، مما يقضي إلى تهميش اللغات الوطنية واحتوائها[39].

والمعضلة اليوم هي في التحديات التي تواجه اللغة العربية ضمن منظور القواعد الجديدة التي تفرضها اللغة الإنجليزية على كل لغات العالم في ظل العولمة، وهو واقع الإنجليزية الذي توظف فيه التقنية المتطورة من موقع التحكم في معظم التكنولوجيات المتطورة التي تتوفر وتتحكم فيها هذه اللغة بجدارة أكثر من اللغات الأخرى، وهي الدعامة الأساسية للهيمنة وفرض المعيار الخاص، وهذا الواقع رهين العولمة بمعناها العام والتي لا مناص منها كون العالم اليوم يعيش في القرية المعلوماتية فهو يتأثر أخذا وعطاء. والسؤال المطروح هنا هو: ما موقع تعدد اللغات ضمن العولمة العاملة على فرض لغة واحدة؟. فالعولمة قد باتت بذلك أحد التحديات التي بدأت تواجه كثير من الدول النامية - ومنها الدول العربية - والمتقدمة على حد سواء، فقد أنشأت فرنسا وزارة الفرانكفونية لحماية نفسها من التبعية الأمريكية في إطار العولمة اللغوية التي تفرض النمط الأمريكي، هذا في الوقت الذي نعرف فيه أن خط الإنترنت تسيطر عليه اللغة الإنجليزية والألمانية والفرنسية، فما موقع اللغة العربية في هذه الشبكة المعلوماتية؟[40].

اختلف دارسو ظاهرة الانتشار السريع للغة الإنجليزية في تفسير أسبابها حيث اعتبر "روبرت فيليبسون" (Robert Philipson) في مؤلفه الشهير (Linguistic Imperialism) "الإمبريالية اللغوية": "إن ذلك الانتشار السريع للغة الإنجليزية قادته عن دراية وتفكير الدول الكبرى المستعملة للغة الإنجليزية، ولاسيما بريطانيا والولايات المتحدة، وذلك عن طريق التعاون الدولي والمساعدات المقدمة في مجال تدريس الإنجليزية"[41]. لئن كان من الواضح أن حياد أي لغة مستبعد فإن الواقع يؤكد وجود إمبريالية لغوية بالفعل، إلا أن ذلك لا يرد إلى سياسات التعاون فحسب بل كذلك إلى المنشورات الأمريكية والترسانة الإعلامية التي عززتها تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة، التي تعد من وسائط العولمة، هذه الأخيرة التي فتحت الحدود كلها لكل أنواع التدفقات[42]؛ وعلى هذا الأساس فقد أدت هذه الوضعية المهيمنة للغة الإنجليزية إلى ظهور ضغط على الدول العربية ومنها الجزائر لإعطاء مزيد من الاهتمام للغات الأجنبية وفي مقدمتها بطبيعة الحال اللغة الإنجليزية، وقد ورد في تقرير البنك الدولي (فبراير 2008) بعنوان: "إصلاح التعليم في الشرق الأوسط وأفريقيا الشمالية"، "إن البرامج الدراسية يجب أن تتغير لتدريس تخصصات أخرى، فالمنافسة الشديدة والتغيرات التكنولوجية المتسارعة كلها تتطلب إمكانات لحل المشاكل ومن بينها اللغات الأجنبية التي لا تحظى بأي تشجيع من مدارس المنطقتين المشار إليهما"[43].

ونرى "صامويل هنتنغتون" (Samuel Huntington) يخصص في كتابه "صدام الحضارات" هامشا مقبولا لتناول اللغة من حيث كونها عنصرا مهما من عناصر الحضارة ومكوناتها، ولما كان الرجل يتحدث عن الصراع الحضاري على التعميم فإنه كان يعني الصراع اللغوي على نحو أخص، ولما كان هدف كتابه أصلا لفت النظر إلى خطر الحضارة الإسلامية القادم، فقد احتلت اللغة العربية هامشا كبيرا من هذا التصور إذ هي مكون هام من مكونات الدين الإسلامي وعامل رئيس من عوامل التوحد بين المسلمين، ولما كانت فكرته قائمة على أن توزيع اللغات وتزايد انتشارها أو تناقصه مرتبط بتوزيع القوى كان طبيعيا أن يتوقع تزايد قوة العرب والمسلمين[44]. ولما كانت العولمة تسعى إلى أمركة كل شيء ولما كان خطاب "هنتنغتون" يشير ضمنا إلى تعاظم خطر العربية فإنه كان طبيعيا أن يتواطأ الخطاب الثقافي والسياسي والأمريكي مع أداته الإعلامية ليخلق صورة مفتعلة من الصراع بين الحضارة الغربية والإسلام. وتبرز أمثلة على هذا التواطؤ في دلالة الإرهاب إذ يقول في هذا السياق "المسدي" "الإرهاب في خطاب هؤلاء الإعلاميين المتحيزين، كما في خطاب "نتنياهو" وخطاب سادته وكبرائه، يقدم بعد تشغيل آليات اللغة والسياق والمقام حتى يتم الاقتران الذهني والتوالج النفسي فيتحقق الارتباط اللاواعي ثم الواعي بين صورة العربي وصورة الإرهاب.....حيث إن كل عربي مرجعه القومي هو اللغة العربية، وإن كل مسلم مرجعه الاعتباري هو أيضا اللغة العربية بما هي لغة النص المؤسس، فإن اللغة العربية في إستراتيجية الخطاب الكوني المتسلط تصبح من الشرارة الكهربائية المولدة للطاقة الإرهابية"[45].

إن وضع اللغة العربية اليوم حرج جدا فهناك حملة واسعة تصاحب حملة العولمة الثقافية تستهدف النيل من كل الثقافات الإنسانية ذات الجذور الحضارية المتأصلة وفي مقدمتها الثقافة العربية، وتتوسل دائما بالعامل اللغوي وكثيرا ما تتعلل بأن العربية الفصحى لغة مفارقة للواقع الحي المعيش فتحاول أن تبث الوهم بأن لغة الواقع هي التي يجب أن تصبح اللغة الرسمية، وهذا معناه تحويلها إلى لغة تربوية ثم إلى لغة إبداعية حتى يكتب بها الفكر، أما المرمى البعيد المنشود فهو أن تلقى العربية نفس مصير اللغة اللاتينية بأن تنحل إلى لهجات تتطور إلى لغات قائمة بالذات. إن سلاح العولمة الثقافية الغازية إنما هو اللغة فباللغة تغزو لتكتسح قلعة الهوية الثقافية باختراق سورها وما سورها المسيج لها إلا اللغة[46]. ومن هنا جاءت مشروعية طرح قضية الأمن اللغوي في العالم العربي في ظل العولمة وما تطرحه من تحديات، كما تثار أخيرا مسألة الأمن الغذائي والأمن الاقتصادي والأمن السياسي، وبعبارة أخرى هل أن مستوى الإلمام

باللغة العربية الفصحى اليوم في العالم العربي مستوى مشرف؟ أم أنه مستوى ضعيف يكاد يهدد وجود اللغة العربية الفصحى كلغة في حد ذاتها وبالتالي يهدد ما نسميه هنا بالأمن اللغوي الذي هو جزء لا يتجزأ من الأمن الثقافي العربي؟. ونظرا لأن اللغة هي أم الرموز البشرية والمنظومة الثقافية ككل في المجتمع فإن ما يهدد اللغة العربية الفصحى اليوم في المجتمعات العربية ذو انعكاسات خطيرة على تلك المجتمعات، ويأتي في طليعتها الخطر المحدق بالهوية الثقافية العربية ذاتها لتلك الشعوب[47].

بيد أنه من جانب آخر على الرغم من الجهود التي بذلت ولا تزال تبذل في مجال تطعيم اللغة العربية وتوطين العلم والتكنولوجيا في البلاد العربية، فإن ما يلاحظ بكثير من الأسف أن اللغة العربية لم تحظ في مجال الاصطلاح المعلوماتي وتصميم قواعد المعطيات وتدبيرها بكثير من الاهتمام، فهي لم تطور أنظمة خبيرة لتمثيل الوحدات الاصطلاحية ولم تحدث بعد برمجيات حديثة لتمثيل المعارف وطرق استغلالها، كما أنها لم تستوعب لحد الآن التطورات التكنولوجية الحديثة[48].

لابد من الإقرار هنا بأن اللغة عنصر أساسي في بناء مجتمع المعرفة باعتبارها الذات وهي الهوية والأداة لصنع المجتمع، وفيما يخص اللغة العربية هناك فجوة كبيرة تفصلها عن عالم المعرفة وهذه المعرفة مرشحة للزيادة إذا لم يقع تدارك الوضع، حيث تواجه اليوم اللغة العربية في ظل العولمة تحديات قاسية وأزمة حقيقية تنظيرا وتعليما واستخداما، ويضاف إلى هذه القضايا تلك المرتبطة بثقافة المعلومات ومعالجة اللغة آليا بواسطة الحاسوب، إذ تشير الإحصائيات المتعلقة بوجود اللغة العربية على الإنترنت أنها تحتل المرتبة السادسة عشرة وذلك بسبب عزوف الدول العربية عن استخدام اللغة العربية في مجال العلم، وهذا ما يشير إلى خطورته الباحث "محمد مراياتي" بقوله: "إن عزوف الدول العربية عن تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية يؤثر في نموها الاقتصادي والاجتماعي وفي توجهها نحو مجتمع المعرفة"[49].

رغم الاستثمارات الكبيرة التي تضعها الدول العربية للتوجه نحو مجتمع المعلومات إلا أنها لا تكون مجدية إذا لم يرافقها وجود المعرفة والمعلومات العلمية والتكنولوجية باللغة العربية، وبذا يمكننا تأكيد ضرورة انغماس وممارسة اللغة العربية في ميدان التكنولوجيا باعتبارها رأس مال بشري مثمر للاقتصاد والمجتمع[50]. فلا يعقل أن نخوض مجالات العلم الحديث ونواكب تكنولوجياته وننعم بمنجزاته وتبقى لغتنا غريبة عن أجواء العلم وديناميكيته وتقنياته وإبداعه[51]، ولا ريب أن مستقبل اللغة العربية يرتبط باستخدامها المتزايد والجاد في شبكات المعلومات العالمية[52].

5/ -دور التخطيط اللغوي في النهوض باللغة العربية

إن أكثر ما تحتاج إليه اللغة العربية في عالم متغير هو التخطيط اللغوي (Language Planning) السليم في إطار خطة عربية شاملة تستند إلى قرارات سياسية ملزمة توجه البحث العلمي إلى معالجة المشكلات التي تحول دون قيام اللغة العربية بمهماتها في أمور الحياة كلها، وتقديم أفضل السبل للنهوض بتيسير تدريس اللغة العربية في المدارس والجامعات، وتعزيز وظيفتها في الإدارة والتعليم والبحث العلمي والتوقف عن حرمانها من أن تكون لغة التعليم في العلوم البحثية والهندسية والطب والعلوم الإدارية بل حتى في العلوم الإنسانية[53]؛ ومنه فإن التخطيط اللغوي هو التعبير عن السياسة اللغوية التي تتبناها جهة رسمية في مجتمع ما، ولا يرتبط التخطيط اللغوي بالمؤسسات الحكومية وحدها بل إن الأفراد والجماعات بإمكانهم أن يكونوا جزءا من عملية التخطيط اللغوي وقد يقومون بدور كبير في إنجاحه[54]؛ ويقصد بالتخطيط اللغوي: "البحث ومباشرة عمل الوسائل الضرورية لتطبيق سياسة لغوية ما"[55]. وعرفه "كوبر" (Cooper, L. R.) بأنه: "هو تغيير في بنية اللغة وأصواتها ووظائفها وإيجاد حلول للمشكلات اللغوية"[56]. والتخطيط اللغوي عند الدكتور "زهير غازي زاهد": "هو أن تسري اللغة وإصلاحها والجهود في ذلك سيرا متوازنا في كل مجالات الحياة العلمية والأدبية واليومية، وعلى جميع مجالات ممارستها في وسائل النشر وقاعات الدرس والبيت والسوق ومكاتب الدوائر الرسمية...الخ، من أجل تحقيق الغرض المنشود أي أن يكون التخطيط شاملا في كل مجالات الحياة، ويجب أن يكون هناك إصلاحات لغوية شاملة ليست محددة بقطر معين"[57]. هذا ويتجلى دور التخطيط اللغوي في النهوض باللغة العربية في النقاط التالية:

- المساهمة في انتشار الوعي باللغة العربية لدى الناطقين بها وتعريفهم بأهمية ومدى ارتباطها بالدين والهوية، وإن الأمر ليس ثانويا بل هو مصيري يحدد قيام أمة أو زوالها وبناء حضارة أو اندثارها.

- الرفع من مستوى التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات عند التدريس باللغة العربية، لتكون لغة العلم والمعرفة والحديث ولغة الحكومة والسياسة والإعلام وجميع المنابر.

- الحفاظ على التنوع اللغوي والثقافي داخل البلد الواحد بحيث لا يجعل من التنوع وسيلة للتفرقة والنزاع بل أداة للتناغم والاستفادة.

- تنقية اللغة الوطنية مما يشوبها من ألفاظ أجنبية اندمجت معها بفعل العولمة وانفتاح الدول على بعضها وسهولة التواصل بين أبناء هذه الدول، فيتم وفقا لذلك تنقية اللغة واستبدال الدخيل بآخر عربي فصيح أو تعريب هذا أو ترجمته.

- تطوير الألفاظ وإعادة دراسة اللغة وفق مناهج علمية وجعل اللغة العربية جاهزة لأن تحوسب ويستفاد من قدرات الحاسوب في معالجتها وصولا إلى تطويرها وتسهيلها للناطقين بها أو بغيرها.

- بالتخطيط الجيد نستطيع جعل اللغة العربية لغة للتعلم والتعليم لغة مستجيبة لجميع متطلبات أهلها قادرة على تيسير عملية التفكير والإبداع وجعل عملية تبادل المعلومات أسرع وأفضل.

كما أننا بواسطة التخطيط نستطيع خلق مجتمع واقتصاد معرفة فلم يحدث أن حصلت تنمية شاملة لدولة من الدول بتبنيها للغة غيرها، فضلا عن تبنيها لغة من يعاديها ويستهدفها ويناقضها في الدين والفكر والقيم والثقافة، ولذا فالتخطيط ليس هدفا ثقافيا فكريا فقط بل هو اقتصادي مالي أيضا فاللغة إذا أحسنا معاملتها والتخطيط لها ستكون استثمارا ماليا مربحا، وبامتلاك اللغة نمتلك زمام المعرفة والتقنية ونحقق التقدم وبضعفها نتراجع عن اللحاق بركب التقدم والتطور[58]. ولعل غياب رؤية موحدة للجهود في الوطن العربي وتشتتها وغياب التخطيط بعيد المدى وضعف العمل المؤسسي وغياب التنسيق وقلة التمويل وضعف الإرادة الشعبية والحكومية، كل ذلك يقف في وجه تحقيق المأمول للتخطيط اللغوي الناجح للحفاظ على اللغة العربية في كل مجالات الاستعمال وأشكال التواصل[59]، وحمايتها من التحديات التي تواجهها في ظل العولمة وزيادة الوعي بها وحاجتنا إليها لتحقيق الأمن الثقافي واللغوي والمجتمعي[60].

خاتمة

قمنا من خلال ما تقدم بمعالجة وتحليل مسألة اللغة العربية وقضاياها باعتبارها من المواضيع الجديرة بالاهتمام والبحث المتواصل فيها، محاولين في ذلك الاقتراب من واقع اللغة العربية الفصحى في مجتمعات العالم العربي، مبرزين من خلال ذلك أهم التحديات الراهنة التي تواجه اللغة العربية وتهدد أمنها في ظل عالم متغير تهيمن عليه العولمة كظاهرة كونية، حيث تجلى لنا أنه قد كانت للعولمة في بعدها الثقافي انعكاسات واسعة النطاق على الخصوصيات الثقافية للمجتمعات العربية، مستهدفة من خلال حملة الغزو الثقافي الإعلامي على أمتنا فرض نمط ثقافي أحادي والنيل من مقوماتها من أهمها المكون الرئيسي للهوية الثقافية العربية المتمثل في اللغة العربية،

وذلك حتى تغدو في المستقبل أمة بلا هوية لغوية. وعليه فقد أظهرت لنا معطيات الواقع أن اللغة العربية تعاني من تراجع ملموس وإهمال من قبل الناطقين بها من أبنائها على اختلافهم مثقفين كانوا أو مفكرين أو إعلاميين طلبة أو أساتذة.

فهناك من يدعون في العصر الحديث إلى الانسلاخ عن اللغة العربية الفصحى والاستغناء عنها عن طريق تعويضها بالعامية لتصبح هذه الأخيرة سائدة في جميع مجالات الحياة وتداولها في الحياة اليومية والتدريس، أو أن يتم استبدالها باللغات الأجنبية الحديثة للحاق بالركب العولمي وهذا بخاصة منها اللغة الإنجليزية كونها أساس بناء مجتمع المعرفة والتقدم فضلا عن تحكمها في التكنولوجيا المعاصرة على مستوى العالم، حيث تشهد في ذلك المجتمعات العربية المعاصرة اختراق العولمة في بعدها اللغوي لهويتها الثقافية من خلال هيمنة اللغة الإنجليزية وتبوئها لمكانة سامية على حساب اللغة الوطنية وتنمية في نفوس أبنائها، بخاصة منهم فئة الشباب العربي، موقف التحقير إزاء اللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة غير مسايرة لتطورات وتغيرات العصر العلمية المعرفية والتكنولوجية.

ونتيجة لهذا فإن الحاجة إلى تفعيل الأمن اللغوي للحفاظ على مكانة اللغة العربية وحمايتها من المخاطر التي تتهددها في المجتمعات العربية المعاصرة في ظل العولمة قد أضحى مسألة ضرورية تقتضي الوعي بأهميتها من قبل الجهات الحكومية، وهو ما يستوجب بذلك اعتماد التخطيط اللغوي المحكم للنظر في بناء مستقبل اللغة العربية على المدى المتوسط والبعيد، ودعم الجهود الرامية إلى النهوض بها وترقيتها في جميع مجالات الحياة؛ ونؤكد هنا على أهمية أن يتم تحقيق التنمية اللغوية بالموازاة مع التنمية الشاملة بما يسمح بالتالي التفاعل بنجاح مع معطيات العولمة ومواجهة التحديات القائمة، على أن يتم وفقا لذلك تذليل الصعوبات والعراقيل لتمكين اللغة العربية من اقتحام العالم الرقمي ومواكبة التحولات والتطورات المتسارعة التي يشهدها عالمنا المعاصر في ميادين العلم والمعرفة والتكنولوجيا، واستيعابها للتقدم العلمي لمختلف العلوم وتوسيع استخدامها لتصبح بذلك لغة عالمية تنافس اللغات الأجنبية العالمية.

توصيات

في الختام نقترح مجموعة من التوصيات ذات طابع عملي نستعرضها في شكل نقاط على النحو الآتي:

1- توعية الأسرة في المجتمع الجزائري المعاصر بأهمية دورها المنوط بها في التنشئة اللغوية السليمة للنشء والتي تقوم على ترسيخ حب اللغة العربية الفصحى في قلوب وعقول أبنائها منذ الطفولة، وتُنَمِّي فيهم الاعتزاز باستعمالها وممارستها كلغة وطنية والاستعداد للدفاع عنها، مع ضرورة استعمال الأسرة لأساليب تربوية فاعلة من خلال استخدامها اللغة العربية الفصحى كأداة أساسية في التواصل داخل النسق الأسري، وتشجيع الأبناء على المطالعة وقراءة القرآن الكريم لتمكينهم من اكتساب اللسان العربي الفصيح.

2- من الأهمية بمكان تشجيع الأطفال والشباب، بخاصة منهم الطلبة الجامعيين، على المقروئية في المجتمع الجزائري المعاصر لتحسين مستواهم اللغوي وإجادتهم للعربية الفصحى، وذلك بتقديم المحفزات المادية والمعنوية لبعثهم على التخلي شيئا فشيئا عن هيمنة تكنولوجيا الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي على عقولهم واهتماماتهم، والتوجه بذلك إلى المطالعة بخاصة ما تعلق بالإنتاج الأدبي والمعرفي العربي الراقي والأصيل، ومن أساليب التحفيز القيام بتنظيم مسابقات على المستوى الوطني والعربي خاصة بالأعمال الإبداعية في مجال اللغة العربية وآدابها وإقامة المؤتمرات والندوات الفكرية.

3- تشجيع البحث العلمي في ميدان اللغة واللسانيات وتناول بالدراسة الواقع اللغوي في الوطن العربي، والبحث في مشكلات اللغة العربية والوقوف عند أسباب تراجعها وتحديد موقف أفراد المجتمع منها.

4- لابد من تنظيم دورات تكوينية مستمرة في اللغة العربية وقواعدها لفائدة أعضاء هيئة التدريس في مختلف الأطوار التعليمية، وهذا لتحسين المستوى اللغوي وإتقان اللغة العربية الفصحى قراءة وكتابة وحديثا وبالتالي الرفع من مستوى المتمدرسين، أطفالا وشبابا، وتكوين جيل حامل لهوية لغوية يعتز بعروبته.

5- من الضروري العمل على ترجمة الإنتاج الفكري والعلمي الأكاديمي في مختلف العلوم والتخصصات إلى اللغة العربية الفصحى، مع ضرورة تعريب الحواسيب والبرمجيات بما في ذلك المصطلحات العلمية والرموز الاختصارية.

6- تفعيل دور الإعلام العربي في التوعية بأهمية استعمال اللغة العربية الفصحى السليمة وتعزيز استعمالها والارتقاء بها لتبوء مكانة لغة عالمية، ويكون ذلك عن

طريق تعميم استعمال العربية الفصحى عبر وسائل الإعلام والاتصال المختلفة، السمعية البصرية منها المقروءة والمسموعة، وتوظيف العربية الفصحى في البرامج والحصص التربوية والثقافية والترفيهية بما في ذلك المسلسلات الوطنية.

7- التأكيد على أهمية التعاون العربي المشترك والمتكافئ بين الهيئات الرسمية التي تضطلع بمهمة ترقية اللغة العربية وتدعيمها، وهذا من أجل البحث في صياغة استراتيجيات لغوية شاملة متكاملة وفاعلة لتحقيق التفاعل بين المجتمعات العربية ولغتها الوطنية، والنظر في سبل حماية اللغة العربية وآليات تطويرها والارتقاء بمكانتها في ظل عالم متغير وما يطرحه من تحديات.

الهوامش

1-عبد الله بوخلخال: "اللغة والهوية والعولمة"، أعمال الملتقى الدولي حول "العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية"، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر أيام 10-11-12 ماي 2004، ص.124.

2-صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية، دار هومة للنشر، الجزائر، 2003، ص.29.

3-الهادي محمد القماطي: "أثر العولمة في اللغة العربية وآدابها"، طرابلس، نقلا عن أعمال الملتقى الدولي حول "العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية"، مرجع سابق، ص.59.

4-ماهر خضير هاشم، "الأمن اللغوي"، جامعة بابل، الموقع الالكتروني:

http://www.uobabylon.edu.iq

مطلع عليه بتاريخ: الجمعة 20/07/ 2018 على الساعة 20h30.

5-محمد الصالح الصديق: العربية لغة العلم والحضارة، د.م.ج. الجزائر، 2009، ص.ص.91، 92.

6- صالح بلعيد، مرجع سابق، ص.ص.16، 17.

7-الهادي محمد القماطي، مرجع سابق، ص.65.

8-أل ناصر الدين، الأمير أمين: "دقائق العربية"، بيروت، 1986، نقلا عن محمود الذوادي: المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية إسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، 2010، ص.212.

9-عبد الله بوخلخال، مرجع سابق، ص.123.

10-عبد الرحمن بن خلدون، "المقدمة"، ص.1254، نقلا عن أعمال الملتقى الدولي حول "العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية"، مرجع سابق، ص.123.

11-"دروس في الألسنة العامة"، تعريب صالح القرمادي، ص.37، نقلا عن نفس المرجع، ص.123.

12-Dictionnaire Larousse 2008, Paris, P.578.

نقلا عن رمزي منير بعلبكي وآخرون: اللغة والهوية في الوطن العربي –إشكالات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، لبنان، 2013، ص.119.

13-Christine Fréchette, « Protéger la Langue a l'ère de la Mondialisation », Conseil Supérieur de la Langue Française, Mars 2007.

نقلا عن نفس المرجع، ص.ص.120، 121.

14-محمد فريد وجدي، "دائرة معارف"، نقلا عن محمد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص.24.

15-الهادي محمد القماطي، مرجع سابق، ص.56.

16-Patrick Charaudeau, « Langue Discours et Identité Culturelle », Etude de Linguistique appliqué, 2001, P.P.341, 348.

نقلا عن رمزي منير بعلبكي وآخرون، مرجع سابق، ص.232.

17-Jaspersen ott, Mankiad, "Nation and Individual", P.6.

نقلا عن نفس المرجع، ص.ص.99، 100.

18- Antoine Meillet : "Comment les mots changent de sens", Paris, 1965, P.230.

نقلا عن لويس جان كالفي: علم الاجتماع اللغوي، ترجمة محمد يحياتن، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص.11.

19-برنار صبولسكي: علم الاجتماع اللغوي، ترجمة سنقادي عبد القادر، د.م.ج. الجزائر، 2010، ص.21.

20-زيدان جرجي: "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية"، دار الهلال، نقلا عن محمود الذوادي، مرجع سابق، ص.209.

21- Dortier. J. F. "Le Langage", Auxerre, Penguin Books, London, 1981. نقلا عن نفس المرجع، ص.209.

22-Patrick Charaudeau, Op.cit. P.P.341, 348.

23-الجابري محمد عابد: "مسألة الهوية العروبة والإسلام...والغرب"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، نقلا عن محمود الذوادي، مرجع سابق، ص.ص.209، 210.

24-غلاب عبد الكريم: "رهانات الفرانكفونية في علاقتها بمسألة التعريب والهيمنة"، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، الدار البيضاء، 1999، نقلا عن نفس المرجع، ص.ص.210، 211.

25-عبد الواحد وافي علي: "علم اللغة"، دار النهضة للنشر، مصر، نقلا عن نفس المرجع، ص.ص.211، 212.

26-عبد الرحمن بن خلدون، "المقدمة"، دار الفكر للنشر، بيروت، ص.764، نقلا عن عبد العزيز بن عثمان التويجري: "اللغة العربية والعولمة"، مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 28 أفريل 2008، إيسيسكو، ص.40، الموقع الالكتروني:http://www.isesco.org.ma

مطلع عليه بتاريخ: الأربعاء 2018/07/18 على الساعة 13h30.

27-شاكر زكريا، "تاريخ الدعوة إلى العامية"، ص.282، نقلا عن رمزي منير بعلبكي وآخرون، مرجع سابق، ص.272.

28-عبد السلام المسدي: "الهوية واللغة في الوطن العربي بين أزمة الفكر ومأزق السياسة"، نقلا عن نفس المرجع، ص.ص.286، 287.

29-محمد جاد أحمد: "الإعلام الفضائي وآثاره التربوية"، الإسكندرية، 2008، ص.ص.40، 47، نقلا عن محمد الفاتح حمدي وآخرون: تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة الاستخدام والتأثير، كنوز المعرفة للنشر، الجزائر، 2011، ص.31.

30-عبد السلام المسدي، مرجع سابق، ص.286.

31-محمود الذوادي، مرجع سابق، ص.ص.215، 216.

32-"لغتنا الجميلة لماذا لم تعد جميلة"، مجلة اليمامة، العدد 743/741، 1983، ص.ص.3-9، 54، 55، نقلا عن محمود الذوادي، مرجع سابق، ص.ص.217، 218.

33-عبد الجبار العتابي: "اللغة العربية تشهد تراجعا وتعاني تحديات كبيرة"، يومية إيلاف، 2014، الموقع الالكتروني:http://.www.elaph.com/web/culture

مطلع عليه بتاريخ: الجمعة 2018/ 07/20 على الساعة 21h00.

34-محمود الذوادي، مرجع سابق، ص.ص.226، 227.

35-الهلال، ج5، نوفمبر 1894، ص.3، نقلا عن محمد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص.86.

36-صلاح سالم زرنوفة: "العولمة والوطن العربي"، جامعة القاهرة، مصر، 2002، ص.2، نقلا عن محمد غربي: التكامل العربي بين دوافع التنمية المستدامة وضغوط العولمة، ابن النديم للنشر، الجزائر، 2014، ص.ص.183، 184.

37-حسن عبد الله العايد: أثر العولمة في الثقافة العربية، دار النهضة العربية للنشر، لبنان، 2004، ص.ص.152، 162.

38-المجلس الأعلى للغة العربية، ص.15، نقلا عن عبد الله بوخلخال، مرجع سابق.

39-نبيل علي: "الثقافة العربية وعصر المعلومات –رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي-"، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2001، ص.ص.232، 233، نقلا عن عبد العزيز بن عثمان التويجري، مرجع سابق، ص.ص.92، 93.

40-صالح بلعيد، مرجع سابق، ص.ص.10، 22، 23.

41-Mohamed Benrabah, « La Communication dans une Technocratie Post-idéologique : Langlais comme Lingua Franca ».

نقلا عن رمزي منير بعلبكي وآخرون، مرجع سابق، ص.127.

42-Bernard Cassen : « un monde Polyglotte pour échapper a la dictature de Langlais », le Monde Diplomatique, 2005, P.22.

نقلا عن نفس المرجع، ص.128.

43-Banque Mondiale, http://www.go.worldbank.org/95 bicuvejo

نقلا عن نفس المرجع، ص.129.

44-صمويل هنتنغتون: "صدام الحضارات"، ص.ص.98، 106، نقلا عن وليد العناتي: "مستقبل اللغة العربية في ظل العولمة"، شبكة صوت العربية، 2017، ص.2، الموقع الالكتروني:

http://.www.voiceofarabic.net

مطلع عليه بتاريخ: السبت 2018/07/21 على الساعة 16h00.

45-عبد السلام المسدي: "العولمة والعولمة المضادة"، ص.390، نقلا عن نفس المرجع، ص.2.

46-عبد السلام المسدي، "الهوية واللغة في الوطن العربي...."، مرجع سابق، ص.288.

47-محمود الذوادي، مرجع سابق، ص.ص.213، 214.

48-خالد الأشهب: "إنشاء قاعدة معارف مفهومية ضمن كتاب المعالجة الآلية للغة العربية"، مطبوعات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 2006، ص.7، نقلا عن عبد العزيز بن عثمان التويجري، مرجع سابق، ص.23.

49-محمد مراياتي: "عزوف الدول العربية عن تعلم العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية"، محاضرة ألقيت في المؤتمر الرابع لمجمع اللغة العربية بدمشق، أيام 14-17 تشرين الثاني 2005، نقلا عن صالح بلعيد: "توطين المعرفة باللغة العربية –اللغة العربية في مجتمع المعرفة-"، ندوة حول "الطريق إلى مجتمع المعرفة وأهمية نشرها بالعربية"، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2008، ص.ص.100، 101.

50-أحمد شفيق الخطيب: "التنمية في مجتمع المعرفة باللغة القومية والمصطلحات"، ملتقى مجمع اللغة العربية حول "قضايا المصطلح العلمي"، دمشق، أيام 9-2-2004، نقلا عن نفس المرجع، ص.101.

51-أحمد شفيق الخطيب: "منهجية بناء المصطلحات"، مجلة اللسان العربي، العدد 52، الجزء الثالث، الرباط، يوليو 1998، ص.537، نقلا عن عبد العزيز بن عثمان التويجري، مرجع سابق، ص.21.

52-محمود فهمي حجازي: "اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين"، مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد73، الجزء الثالث، دمشق، يوليو 1998، نقلا عن نفس المرجع، ص.21.

53-رمزي منير بعلبكي وآخرون، مرجع سابق، ص.224.

54-لطيفة النجار: "اللغة العربية بين أزمة الهوية وإشكالية الاختيار"، نقلا عن رمزي منير بعلبكي وآخرون، مرجع سابق، ص.ص.219، 220.

55-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: "لسان العرب"، دار صادرن للنشر، بيروت، 1994، ص.287، نقلا عن عمر بورنان: "تخطيط السياسة اللغوية"، مجلة تتناول مقالات في اللغة الأم، دار هومة، الجزائر، 2009، ص.169.

56- Cooper, L. Robert, "Language Planning and Social Change", 1989, P.29.
نقلا عن أيمن الطيب بن نجي: "التخطيط والسياسة اللغوية وأبرز عوائقهما في الوطن العربي"، الموقع الالكتروني: http://www.worldconferences.net

مطلع عليه بتاريخ: السبت 2018/07/21 على الساعة 15h30.

57-ماهر خضير هاشم، مرجع سابق.

58-عبد القادر الفاسي الفهري: "السياسة اللغوية في البلاد العربية"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، 2013، ص.ص.256، 258، نقلا عن أيمن الطيب بن نجي، مرجع سابق، ص.ص.302، 303.

59-لطيفة النجار، مرجع سابق، ص.ص.223، 224.

60-شذى حمود: "التخطيط اللغوي لحماية العربية من التحديات"، محاضرة بمجمع اللغة العربية"، دمشق-سانا، أيام 27-12-2017، الموقع الالكتروني: http://www.sana.sy

مطلع عليه بتاريخ: الأحد 2018/07/22 على الساعة 17h00.